

تفسير البحر المحيط

@ 289 زيد بن علي : توباً بغير تاء ، ومن قرأ بالضم جاز أن يكون مصدراً وصف كما قدمناه ، وجاز أن يكون مفعولاً له ، أي توبوا لنصح أنفسكم . وقرأ الجمهور : { وَيُدْخِلُواكُمْ } عطفاً على { أَنْ يُكْفِّرَ } . وقال الزمخشري : عطفاً على محل عسى أن يكفر ، كأنه قيل : توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم . انتهى . والأولى أن يكون حذف الحركة تخفيفاً وتشبيهاً لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة ، تقول في قمع ونطع : قمع ونطع . .

{ يَوْمٌ لَّا } منصوب بيدخلكم ، ولا يجزي تعريض بمن أخزاهم □ من أهل الكفر ، والنبي هو محمد رسول صلى □ عليه وسلم) ، وفي الحديث أنه صلى □ عليه وسلم (تضرع إلى □ عز وجل في أمر أمته ، فأوحى □ تعالى إليه : إن شئت جعلت حسابهم إليك ، فقال : يا رب أنت أرحم بهم) ، فقال تعالى : إذا لا أخزيك فيهم . وجاز أن يكون : { مُفَصِّلاً } وَالَّذِينَ { معطوفاً على { النَّبِيِّ } ، فيدخلون في انتفاء الخزي . وجاز أن يكون مبتدأ ، والخبر { نُورُهُمْ يَسْعَى بِيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ } . وقرأ سهل بن شعيب وأبو حيوه : وبإيمانهم بكسر الهمزة ، وتقدم في الحديث . { يَقُولُونَ رَبِّ إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَنَجِدُكَ سَمِيعًا بَصِيرًا } . قال ابن عباس والحسن : يقولون ذلك إذا طفء نور المنافقين . وقال الحسن أيضاً : يدعوته تقرباً إليه ، كقوله : { وَاسْتَعْفِفْ } لِدَانَكَ } ، وهو مغفور له . وقيل : يقوله من يمر على الصراط زحفاً وحبوا . وقيل : يقوله من يعطى من النور مقدار ما يبصر به موضع قدميه . { الْعَظِيمُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ : تقدم نظير هذه الآية في التوبة .

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا } : ضرب تعالى المثل لهم بامرأة نوح وامرأة لوط في أنهم لا ينفعهم في كفرهم لحمه نسب ولا صلة صهر ، إذ الكفر قاطع العلائق بين الكافر والمؤمن ، وإن كان المؤمن في أقصى درجات العلا . ألا ترى إلى قوله تعالى : { إِنَّ زَنْهَؤُنَّ لِيَسَّ مِنَ أَهْلِكَ } إِنَّ زَنْهَؤُنَّ لِيَسَّ مِنَ أَهْلِكَ ؟ كما لم ينفع تينك المرأتين كونهما زوجتي نبيين . وجاءت الكناية عن اسمهما العلمين بقوله : { عِبْدِينِ مِنَ عِبَادِنَا } ، لما في ذلك من التشريف بالإضافة إليه تعالى . ولم يأت التركيب بالضمير عنهما ، فيكون تحتها لما قصد من ذكر وصفهما بقوله : { صَالِحِينَ } ، لأن الصلاح هو الوصف الذي يمتاز به من اصطفاه □ تعالى بقوله في حق إبراهيم عليه الصلاة

والسلام : { وَإِذْ نَزَّهَتْ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ } ، وفي قول يوسف عليه السلام : { وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ } ، وقول سليمان عليه الصلاة والسلام : { وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } . { فَخَانَتْهُمَا } ، وذلك بكفرهما وقول امرأة نوح عليه السلام : هو مجنون ، ونميمة امرأة لوط عليه السلام بمن ورد عليه من الأضياف ، قاله ابن عباس . وقال : لم تزن امرأة نبي قط ، ولا ابتلي في نسائه بالزنا . قال في التحرير : وهذا إجماع من المفسرين ، وفي كتاب ابن عطية . وقال الحسن في كتاب النقاش : فخانتاهما بالكفر والزنا وغيره . وقال الزمخشري : ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور ، لأنه سمح في الطباع نقيصة عند كل أحد ، بخلاف الكفر ، فإن الكفر يستمجونه ويسمونه حقاً . وقال الضحاك : خانتاهما بالنميمة ، كان إذا أوحى إليه بشيء أفشاه للمشركين ، وقيل : خانتاهما بنفاقهما . قال مقاتل : اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة . { فَلَمَّ يُعْذِنِينَ } بياء الغيبة ، والألف ضمير نوح ولوط : أي على قربهما منهما فرق بينهما الخيانة . { وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ } : أي وقت موتهما ، أو يوم القيامة ؛ { مَعَ الدَّٰخِلِينَ } : الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو مع من دخلها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط . وقرأ مبشر بن عبيد : تغنيا بالهاء ، والألف ضمير المرأتين ، ومعنى { عَذَّبْنَاهُمَا } : عن أنفسهما ، ولا بد من هذا المضاف إلا أن يجعل عن اسما ، كهي في : دع عنك ، لأنها إن كانت حرفاً ، كان في ذلك تعديفة الفعل الرفع للضمير المتصل إلى ضمير المجرور ، وهو يجري مجرى المنصوب المتصل ، وذلك لا يجوز . .

{ وَصَرَّبَ اللَّاهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ اٰمْرًا ۗ فِرْعَوْنَ } : مثل تعالى حال المؤمنين في أن وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقص من ثوابهم بحال امرأة فرعون ، واسمها آسية بنت مزاحم ، ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون عدو الله تعالى والمدعي الإلهية ، بل نجاها منه إيمانها ؛ وبحال مريم ، إذ أوتيت من كرامة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، والاصطفاء على نساء العالمين ، مع أن قومها كانوا كفاراً . { إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ } : هذا يدل على إيمانها وتصديقها بالبعث . قيل : كانت عمة موسى عليه السلام ، وآمنت حين سمعت بتلقف عصاه ما أفك السحرة . طلبت من ربها القرب من رحمته ، وكان ذلك أهم عندها ، فقدمت